كلمة البروفسور سليم دكّاش اليسوعيّ، رئيس جامعة القدّيس يوسف في بيروت، في احتفال إطلاق كتاب القسّ سهيل سعود، بعنوان "القدس في الفكر المسيحيّ – قراءة معاصرة"، بالاشتراك مع دار منهل الحياة وبالتعاون مع جريدة النهار، وبرعاية جامعة القدّيس يوسف في بيروت، يوم السبت الواقع فيه الأوّل من شباط (فبراير) ٢٠٢٠، في حرم الابتكار والرياضة، في أوديتوريوم فرنسوا باسيل.

أودّ أوّلاً، باسم الجامعة، أن أرحّب بكم جميعًا، أنتم الذين أتيتم للاحتفاء وللاحتفال بصدور كتاب القسّ سهيل سعود "القدس في الفكر المسيحيّ – قراءة معاصرة"، وها هي المساحة الجامعيّة اليسوعيّة تشارككم هذه الفرحة في هذا اللّقاء حول الكتاب.

صحيح أن الجامعة، جامعة القدّيس يوسف في بيروت، لها بعدها المسيحيّ وتاريخها الكاثوليكيّ، إلاّ أنّها في كاثوليكيّتها ويسوعيّتها – ولا ننسى أنّ إغناطيوس لعب دَور المصلح من ضمن الكنيسة الكاثوليكيّة – أرادت دَومًا وتريد أن تكون جامعة عبر رسالتها الأكاديميّة، للتفكير معًا وللبحث معًا لا في مواضيع جامدة أو غارقة في العلميّة، بل أيضًا في القضايا الاجتماعيّة والسياسيّة والدينيّة التي تحرّك لبنان والعالم العربيّ–الإسلاميّ، حيث نتحدّث اليوم عن استخدمنا لغة الإعلام عن القضايا الساخنة التي تقضّ مضاجع أهل السلطة السياسيّة وغيرها من السلطات وكذلك تهمّ المصير وتخاطب الهويّة وتوقظ الضمائر.

من هذه القضايا، تبرز قضيّة القضايا المطروحة على الفكر المسيحيّ، قضيّة مدينة القدس وموقعها في الوجدان المسيحيّ العربيّ، لا بل على مستوى المسيحيّين بوجه عامّ.

أستطيع القول، بعد اطّلاعي على الكتاب، أنّ القسّ سعود أراد أن يكون محافظًا ومتجدّدًا في نظرته إلى قضيّة القدس والأماكن المقدّسة:

أوّلاً: لا يخفي، في رؤيته للقدس كمدينة مقدّسة للمسيحيّين، أنّه ينطلق من اللاهوت الإنجيليّ التراثيّ وعلى وجه الخصوص من المؤسّس المصلح جان كالفان Jean Calvin المتجذّر والعارف في الكتاب المقدّس، العهدَين القديم والجديد، والذي ترك لنا تفسيرًا كبيرًا في الكتاب المقدّس. فهو يُقدّم لنا قراءة إنجيليّة مُصلحة مُعاصرة، وأودّ الإشارة إلى أنّها قراءة محليّة عربيّة لموقع أرض الموعد حيث أراد أن يكون منصفًا بحقّ القضيّة الفلسطينيّة وهي تُعاني ما تعانيه اليوم من اضطهاد وجناية. فهو في هذا المجال يناقش الوجهات والمواقف اللاهوتيّة لبعض الإنجيليّين المتطرّفين في أميركا وغير أميركا الذين يدعون قيام دولة إسرائيل عندما يعيدون ذلك إلى نبوءات العهد القديم، فيدعون إلى إعادة بناء هيكل سليمان وعودة المسيح ليحكم ألف سنة على الأرض قبل الدينونة. ويبرع القسّ سهيل سعود في دحض هذه التفسيرات الحرفيّة بالعودة إلى مقولات كالڤن الذي بنى منهجيّة على التفريق بين العهد القديم والعهد الجديد حيث إنّ المنافع الأرضيّة والماديّة التي أُعطيت لشعب الله في العهد القديم إنّما كانت آنية ومرحليّة وهي مجرّد انعكاس للبركات الروحيّة والسماويّة التي نجدها في العهد الجديد ومختلف العهود التي قُطِعَت مع الشعب انطلاقًا من العهد مع إبراهيم، إن كانت مبنيّة على الإيمان بالله الواحد القيوم وكذلك على الإيمان بيسوع المسيح قوّة روح الله، روح القدس.

وهكذا في هذا الإطار، يدلّنا العهد الجديد، أي الأناجيل وأعمال الرسل والرسائل، في تصوُّر جديد هو تصوُّر العهد الجديد، حيث إنّ الله لم يعد يهتمّ بشعب مختار بل إنّه ينفتح على كلّ الشعوب ويدعوها إلى حياة النعمة والخلاص والتحرّر بالربّ، حيث أنّ أرض الموعد بالنسبة إلى المسيحيّ لم تعد محصورة في منطقة جغرافيّة معيّنة، بل إنّها تدلّ دلالة قويّة على مملكة الله السماويّة.

ثانيًا: وإذا كان القسّ سهيل يسلّط الضوء كمًّا ونوعًا على نظرة المصلحين اللاهوتيّة فهو يدخل مقولة جديدة لتصحيح المعادلة وتوجيه البوصلة هي مقولة العدالة الاجتماعيّة وحقوق الإنسان التي سلّط الضوء عليها المصلحون الإنجيليّون. ونحن نعرف، بموجب اللاهوت المسيحيّ، أنّ العدالة الاجتماعيّة ليست كلمة وحسب بل إنّها مقولة عمليّة فاعلة تتضمّن التصوّر الواضح في ما على المرء أن يفعله حتى تتحقّق العدالة الاجتماعيّة وكيف أنّ هذه العدالة تدعو إلى العمل والنضال من أجل إحقاق الحقوق الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسياسيّة. وما اللاهوت السياقيّ الفلسطينيّ العربيّ الذي يصفه القسّ سعود سوى تلك الأداة النظريّة القويّة والفاعلة لتوجيه الأنظار نحو القضيّة الفلسطينيّة ومركزيّة محورها مدينة القدس التي ينفي الكاتب ونحن معه أن تكون مشكلة هامشيّة بل هي جزء لا يتجزّأ من القضيّة ككلّ.

ثالثًا وأخيرًا: لا شكّ أنّ القسّ سعود، وهذا واضح من سياق الكتاب ومضمونه، اعتمد على المقولات اللاهوتيّة الإنجيليّة المُصلحة في موضوع معنى القدس المسيحيّ والمسيحانيّ. فماذا يقول يا ترى اللاهوت المسيحيّ الكاثوليكيّ في هذا المجال؟ أعتمد هنا، من خارج كتاب القسّ سعود، على اللاهوتيين الكاثوليكيين المعاصرين وعلى كتب في القدس والتأمّل مليًّا في معانيها. لنأخذ مثلاً كلود جيفري (Claude Geffré) والآخر، من عندنا، الأب يواكيم مبارك، فنستخلص منهما الموقف الكاثوليكيّ اللاهوتيّ من قضيّة القدس والأماكن المقدّسة. فالقدس بالنسبة إلى اللاهوت الكاثوليكيّ هي مفتاح تأويليّ لفهم أسطورة الحملة الصليبيّة، حيث إنّ المدينة المقدّسة هي مشروع ذهاب من دون أياب، وهي ممرّ من أرض العبوديّة إلى الأرض الموعودة السماويّة وهي أيضًا وجهة الغرب صوب مصدره وينبوعه أي صوب مشرق الشمس وبزوغ الإيمان الإبراهيميّ. وعندما نقرأ في سفر الرؤيا الفصل الحادي والعشرين ما يقوله عن مدينة المقدّس

نفهم الماهية الروحيّة لمعنى القدس، فهي النازلة من فوق، من صنع إلهيّ لا بشريّ، وهي مسكن الله حيث تلتقي كلّ الشعوب، حيث لا حزن ولا وجع، هي المدينة النموذجيّة في شكلها وبنيانها، حيث لا نور شمسٍ فيها وعليها، لأنّ مجد الله هو الذي ينيرها. هذه المدينة المقدّسة لا تخضع بالتالي للاعتبارات العنصريّة والمواقف الأحاديّة. إنّها تدعو إلى المصالحة بين الأديان والشعوب وخصوصًا الأديان التوحيديّة وإلى الدلالة على الإنسانيّة المكتملة والمتكاملة، وهي دعوة ملحاح إلى المسكونيّة بين المذاهب المسيحيّة جميعًا.

الأب يواكيم مبارك كان يرى في القدس مدينة التعدّديّة في المساواة، مدينة إرادة أصحاب الديانات التوحيديّة أن تكون مدينة شاهدة للسلام فيها ومنها وحولها. لذلك ربط يواكيم مبارك المارونيّ وضعيّة القدس بالقضيّة الفلسطينيّة ككلّ وبالحوار المسيحيّ الإسلاميّ الذي ينبغي له أن يُفرد فسحة لحوارٍ مع اليهوديّة كدين لا كحركة صهيونيّة. ومبارك وجيفري لا يتباعدان عن موقف الفاتيكان الذي، بالرغم من بعض التقلّبات السياسيّة والدبلوماسيّة، لا يزال ينادي بالقدس على لسان البابا فرنسيس تراثًا مشتركًا للإنسانيّة جمعاء ومساحة لقاء ورمزًا للعيش المشترك المسالم بين الجميع.

إنّها القدس القضيّة المسيحيّة، إنّها قدسنا العصيّة العاصية التي لا نتخلّى عنها، وهل يتخلّى المرءُ عن درّة عينيه وعن تلك الجوهرة التي ترصّع وجداننا وتطالب بأن نحميها ونحمي معانيها في الخير والبركة والسلام ؟

كتابك، حضرة القسّ سعود، يفتح الباب، باب المسيحيين والمسلمين ليزدادوا ثقافة في القدس وواقعها ونضالها ومراميها ويزدادوا بالتالي جرأة في الدفاع عنها وعن شعبها وخصوصًا عن الحضور المسيحيّ الرسميّ والشعبيّ فيها وفي الأماكن المقدّسة.